التشبيهات الحسية والمعنوية في المجموعة النبهانية في المدائح النبوية – النبهاني

(دراسة بلاغية نقدية لنماذج مختارة)

كبير غرب دالا (*)

مقدمة :

الحمد لله وحده، وصل اللهم وسلم على محمد أفضل خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الغرض الأسمى من هذه الدراسة هو نفض الغبار عن التراث البلاغي العربي، ومحاولة تسليط الأضواء على المدائح النبوية الواردة في المجموعة النبهانية، ودراسة بعض التشبيهات الحسية والمعنوية الواردة فيها.

(ب) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية للنبهاني:

هي مجموعة من المدائح النبوية في أربعة أجزاء. بدأ إمام يوسف النبهاني بجمع ما في عصر النبوة من المدائح، من الأبيات، والمقطوعات والقصائد لاثنين وثلاثين صحابياً، وأربع صحابيات، ومن ضمنهم الخلفاء الراشدون، وأعمام الرسول هم حمزة بن عبد المطلب، والعباس بن عبد المطلب وأبو طالب بن عبد المطلب)، ثم شعراء الرسول الثلاثة، رضي الله عنهم، ومن الصحابيات السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمته صفية بنت عبد المطلب.

ثم انتقل إلى ذكر وجمع ما لغير الصحابة من الأئمة الأعزاء رحمهم الله من المدائح النبوية في القرون التي تلت عصر النبوة بادئاً من القرن السادس الهجري، إلى القرن الثالث عشر الهجري، الموافق القرن العشرين الميلادي، (العصر الحديث) ولجمع لمائة وثمانية (١٠٨) من الشعراء من أصحاب المدائح النبوية، بالإضافة إلى شاعرتين، وهما: ألشيخة

(*) باحث بمعهد البحوث والدراسات العربية - قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية.

سعدونة بنت عصام الأندلسية من أهل القرن السابع الهجري، وعائشة الباعونية الدمشقية من أهل القرن العاشر الهجري.

وتحتوي الدراسة على ثلاثة مباحث: المبحث الأول تناول استخراج التشبيهات مع الإشارة إلى أركان التشبيه،.

والمبحث الثاني: تناول دراسة تحليلية بلاغية نقدية لبعض تلك التشبيهات.

والمبحث الثالث: تحدث عن أغراض التشبيهات، واختتم الباحث الدراسة بخاتمة تلخص أهم النقاط التي وردت في المباحث الثلاثة.

التشبيه الحسي والمعنوي

المبحث الأول: استخراج التشبيهات الحسية والمعنوية:

أ)مفهوم التشبيه الحسي والمعنوي:

التشبيه الحسي والمعنوي يقعان في طرفي التشبيه، "المشبه والمشبه به" ويتنوعان على أربعة أنواع:

(١) تشبيه المحسوس بالمحسوس:

وتشبيه المحسوس بالمحسوس، وهما حسيّان مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، نحو: "منديل كالقطن في اللين الناعم" و"خد زينب كالورد في الحمرة" و "شَعر هند كالليل في السواد". والقد بالرمح في الاستقامة والوجه بالبدر في الإشراق وضيائه.

وينقسم هذا النوع من التشبيه إلى خمسة أقسام:

(أ) **ما يدرك بالبصر**: سواء الألوان، أم الأشكال، أم المقادير، أم الحركات، وذلك كتشبيه خد المرأة بالوردة في الـحُمرة، وتشبيه الشعر الأسود بالليل في السواد،

(ب) **ما يدرك بالسمع من الأصوات:** مثل تشبيه الصوت الضعيف بالهمس، وأزير القِدر بصوت الطائرة، ووقع الأسلحة في الحرب بالصواعق.

(ج) **ما يدرك بالذوق**: وذلك كتشبيه بعض الفواكه بالعسل، وتشبيه الرق الحبيب بالخمر في الطُّعم المذاق.

(د) **ما يدرك بحاسة الشم من الروائح**: كتشبيه بعض الأشياء بالريحان أو الكافور، وتشبيه النكهة بالعنبر.

(هـ) **ما يدرك بحاسة اللمس من حرارة وبرودة، ورطوبة ويبوسة، وخشونة وغيرها**: وذلك كتشبيه الليل الناعم بالخز، وتشبيه الخشن بالمِسْح.

(٢) تشبيه المعنوي بالمعنوي:

هذا يعني أن طرفي التشبيه عقليان، فهما ما يدركان بالعقل، كتشبيه الإيمان بالحياة، أو العلم بالحياة، أو الكفر بالموت، أو الجهل بالموت، أو الضلال بالعمى، أو الجهل بالظلام وغير ذلك.

(٣) تشبيه المعنوي بالمحسوس:

كتشبيه الحجة بالشمس والمنية بالسَّبُع، والعزم بالسيف، والأخلاق بالعطر.

(٤) تشبيه المحسوس بالمعنوي:

كتشبيه العطر بالـخُلق الكريم، والنجوم بالسنن، والليل بالصدود، وصديق السوء بالموت

(ب) نماذج التشبيهات الواردة في المجموعة:

١- تشبيه المحسوس بالمحسوس:

قال الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري:

١- ومُذْ هدانا إلى الإسلام مَبْعَثُهُ * دَهَى الشياطين والأصنامُ تَجْدِيلُ

وانظر سماءً غدت مملوءةً حرسًا * كأنها البيت لمَّا جاءه الفِيـلُ[١]

وفي البيت مشبه وهو (السماء) ومشبه به وهو (البيت) وأداة التشبيه وهي (كأن) ونوع التشبيه حسياً (يدرك) بحاسة البصر.

٢- واغيرتا حين أضحى الغار وهْو به * كمثل قلبي معمورٌ ومأهول

كأنما المصطفى فيه وصَاحبُه الـ * ـصديق ليثان قد آواهما غِيلُ[٢]

وفي هذا البيت مشبه وهما كلمتان (المصطفى – وصاحبه) ومشبه به للبيت كلمة (الليثان)، وكأنما أداة للتشبيه، ونوع التشبيه حسياً يدرك بالبصر.

وقال الإمام يحي الصرصري:

٣- وزانه نُوره أيام مهبطه * كأنما هو فوق الوجه قِنْدِيل[٣]

والمشبه في البيت هو (النور) والمشبه به هو (قنديل) و(كأنما) أداة للتشبيه، ونوع التشبيه حسياً يدرك بالبصر.

قال الشهاب أحمد بن عبدالملك المعروف بالعزاري:

٤- كأنما طيب رياها ونفحتها * بطيب تُرب رسول الله مجبول[٤]

والمشبه في هذا البيت لا يكون إلا (طيباً) والمشبه به (طيب ترب الرسول) وأداة التشبيه (كأنها) ونوعية التشبيه حسية تدرك بالشم.

قال الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري:

٥- وعندما قال للأشجار حيَّهلاَ * أقبلن سعيًا كما السحبُ المراسيلُ[٥]

وفي البيت مشبه وهو (الأشجار) ومشبه به وهو (السحب المراسيل) وأداة التشبيه (كما) ونوع التشبيه حسياً يدرك بالبصر.

وقال شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن علي الحنفي الزمردي:

٦- كأنه سُكر يحلو مُكرِّره * وكم حديث إذا كررت مملول[٦]

والمشبه في البيت هو (ضمير "الهاء" وهو كلام النبي صلى الله عليه وسلم) والمشبه به هو (سكر) وأداة التشبيه (كأن) ونوعية التشبيه حسية تدرك بالذوق.

قال الشهاب محمود الحلبي:

٧- وحنين الجذع الذي أسْمَعَ الصحـ *ـب جميعًا كما تحن الثكول[٧]

والمشبه في هذا البيت (حنين الجذع) والمشبه به (الثكول) وأداة التشبيه (كما) ونوع التشبيه حسي يدرك بالسمع.

٨- أكرر في أحوالـيَ اسمكَ أنه * لكا الشَّهْدِ ما كرَّرته في فمي يحلو[٨]

والمشبه في هذا البيت (ما كررته) والمشبه به (الشهد) و(الكاف) أداة للتشبيه، ونوع التشبيه حسي يدرك بالذوق.

قال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري رحمه الله:

٩- وبرق سرى أم نور ثغرك باسما... ونشرك أم مسك ذكي تأرجا[٩]

وفي هذا البيت مشبه وهو كلمتان (نور ثغرك – ونشرك) ومشبه به أيضاً كلمتان (برق- ومسك) وأداة التشبيه (أم الأولى وأم الثانية في محل (الكاف) ونوع التشبيه حسي يدرك بالبصر والشم.

١٠- ساعداه كفضة ويظن الـكف منه في لينة اللمس زبدا[١٠]

والمشبه في البيت (ساعداه – والكف) والمشبه به (فضة وزبد) وأداة التشبيه (الكاف) في صدر البيت، و(الكاف المقدرة في عجز البيت).

ونوع التشبيه حسي يدرك بالبصر واللمس.

قال ابن مليك الحموي رحمه الله:

١١- وانشق تربا طيب عرف عبيره..يضوع كنشر المسك ينعشني نشقا[١١]

وفي هذا البيت مشبه وهو (تربا) ومشبه به (نشر المسك، وأداة التشبيه (الكاف) ونوع التشبيه حسي يدرك بالشم.

(٢) تشبيه المعنوي بالمعنوي:

قال الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري:

١٢- كم قد أتت عنك أخبار محبَّرة * في حسنها أشبه التفريع تأصِيل[١٢]

والمشبه في هذا البيت هو (أخبار) والمشبه به (التفريع) وأداة التشبيه (أشبه) ونوع التشبيه عقلياً يدرك بالعقل.

(٣) تشبيه المعنوي بالمحسوس:

قال القاضي بهاء الدين محمد البعوثي الشامي رحمه الله:

١٣- أنباؤه الغر تحلولي مواردها * كأنما مُنهل بالرَّاح مَعْلُول[١٣]

والمشبه في البيت (أنباؤه) والمشبه به (منهل بالراح) وأداة التشبيه هي (كأن) والنوع للتشبيه عقلياً وحسياً يدرك بالعقل والحس.

قال الإمام يوسف النبهاني رحمه الله:

١٤- فأصبح الشرك في إشراك حكمته*كالوحش وهْو بحبل الذل محبول[١٤]

وفي البيت مشبه وهو (الشرك) ومشبه به هو (الوحش) و(كاف) كأداة للتشبيه ونوع التشبيه عقلي وحسي.

قال الإمام البوصيري رحمه الله:

١٥- وصلاة كالمسك تحمله مـ *نـي شمال إليك أو نكهاء[١٥]

وفي البيت مشبه وهو (صلاة) ومشبه به وهو (المسك) وأداة التشبيه وهي (الكاف)، ونوع التشبيه عقلي وحسي يدرك بالعقل والحس.

وقال الشهاب المنصوري المتوفي سنة ٨٨٧ رحمه الله:

١٦- وهو الذي عمت الدنيا رسالته... كالصبح أنواره في سائر القطر[١٦]

وفي هذا البيت مشبه وهو (الرسالة) ومشبه به وهو (الصبح) وأداة التشبيه فيه هي (الكاف) ونوعية التشبيه – عقلية وحسية تدرك بالعقل والحس.

قال الوزير الفاضل أبو زيد عبد الرحمن الغازازي الأندلسي رحمه الله:

١٧- سلام كعرف الروض أفضله الندى*على خير مخلوق من الجن والإنس[١٧]

وفي البيت مشبه وهو (سلام) ومشبه به وهو (عرف الروض) وأداة التشبيه وهي (الكاف) ونوعية التشبيه. عقلية وحسية، تدرك بالعقل والحس.

(٤) تشبيه المحسوس بالمعنوي:

قال الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري:

١٨- لله يوم حنين حين كان به * كساعة البعث تهويلٌ وتطويل[١٨]

وفي البيت مشبه وهو (ضمير فعل كان بمعنى "هو") ومشبه به وهو (ساعة البعث) وأداة التشبيه هي (الكاف) ونوع التشبيه عقلي وحسي يدرك بالعقل والحس.

قال الشيخ حسن البوريني نزيل دمشق المتوفي سنة ١٠٣٤ رحمه الله:

١٩- ألا إنما الدنيا كظبي وذا الورى... كنفحة والمسك أخلاق أحمد

وإلا كشخص والنبيون عينه... وإنسان تلك العين ذات محمد[١٩]

والمشبه في هذا البيت كلمتان (الدنيا – وذا الورى) والمشبه به أيضاً كلمتان (ظبي – ونفحة) وأداة التشبيه (الكافان) ونوع التشبيه عقلي وحسي يدركان بالعقل والحس.

المبحث الثاني:

دراسة تحليلية للتشبيهات الحسية والمعنوية الواردة في المجموعة

تتمثل التشبيهات الحسية والمعنوية في أربعة أنواع:

١- تشبيه المحسوس بالمحسوس ٢- تشبيه المعنوي بالمعنوي

٣- تشبيه المعنوي بالمحسوس ٤- تشبيه المحسوس بالمعنوي

وفيما يلي تحليلاتها بالتفصيل:

النوع الأول: تشبيه المحسوس بالمحسوس:

ينقسم هذا النوع من التشبيه إلى خمسة أقسام تحت الحواس الخمسة، وهي كالتالي:

(أ) ما يدرك بحاسة البصر:

قال الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله تعالى في قصيدته اللامية الطويلة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي عارض بها قصيدة "بانت سعاد" وهي أربع ومائتان (٢٠٤) بيتاً، ومطلعها ما يأتي:

إلى متى أنت باللذات مشغول # وأنت على كل ما قدمت مسؤول[٢٠]

افتتح الشاعر القصيدة، مبيناً فيها عتابه لنفسه لركونه إلى الدنيا، وإضاعة عمره، وتقاصره عن الأعمال الصالحة ويحذر نفسه مما ستلاقيه غداً. ثم انتقل إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، مبيناً الأحوال والأحداث من مبعثه وصولاً إلى قوله،

(١) ومنذ هدانا إلى الإسلام مبعثه # دهى[٢١]الشياطين والأصنام تجديل[٢٢]

وانظر سماءً غدت مملوءة حرساً # كأنما البيت لما جاءه الفيل[٢٣]

تناول الشاعر في هذين البيتين الحديث عن حادثتين وهما حادثة صد الشياطين عن استراق السمع في السماء حين ولادة الرسول، وحادثة أصحاب الفيل في عام الفيل بمكة، قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك القرآن الكريم (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً)[٢٤]، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ)الآية[٢٥]

وفي البيت الثاني تشبيه المحسوس بالمحسوس، حيث شبه الشاعر (السماء)؛ (ببيت الله الحرام)، وهو الكعبة، وهما حسيان يدركان بحاسة البصر والتشبيه هنا قوي، حيث شبه الشاعر شدة

حراسة وصيانة السماء بجنود الله عن صعود الشياطين إلى السماء لاستراق السمع، بحرس الله بيته وصيانته عن كيد أصحاب الفيل، لما أرادوا هدمه، فأرسل إليهم جنوداً من الطير ترميهم بأحجار من نار فأهلكتهم.

والمشبه في البيت (السماء)، والمشبه به (البيت)، و(كأن) أداة التشبيه وهي رابطة بين المشبه والمشبه به، وهي أدل على تأكيد الكلام من الكاف.

(٢) واستمر الشاعر في نفس القصيدة يذكر فضائله صلى الله عليه وسلم السنية التي من الله له بها، ويعدد معجزاته الباهرة إلى أن وصل إلى قوله:

واغَيْرتَا[٢٦]حين أضحى[٢٧] الغَارُ[٢٨] وهْوَ بِه# كمثل قلبي معمور ومأهولُ[٢٩]

كأنما المصطفى فيه وصاحبه # ليثان[٣٠]قد آواهما غيل[٣١]

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عن بداية هجرته صلى الله عليه وسلم. حيث بدأت باللجوء إلى غار حراء ليلاً وخفية عن أعين قريش، الطالبين الباحثين له. هو وصديقه أبو بكر رضي الله عنه.

شبه الشاعر الرسول وصديقه أبا بكر حينما كانا في الغار بليثين في مأواهما في اطمئنان وشجاعة واستعداد لتلقي العدو القادم ولا شك أن هذا تشبيه رائع لاستعمال الخيال فيه. حيث يجعل الشاعر القارئ أو السامع يتخيل الأسدين في مأواهما يترقبان قدوم العدو. كيف يكون هذا الاستعداد؟ فالمشبه في البيت الثاني هو (المصطفى وصاحبه الصديق)، والمشبه به (ليثان): (كأن، أداة التشبيه تفيد التأكيد، والمشبه والمشبه به حسيان يدركان بحاسة البصر.

(٣) وللإمام يحيى الصرصري المتوفى سنة ٦٥٦ رحمة الله تعالى قصيدة لامية طويلة في ثمانية وتسعين بيتاً (٩٨) عارض بها قصيدة "بانت سعاد" هو أيضاً، يمدح فيها النبي الرسول صلى الله عليه وسلم، ومطلعها هو:

ركب الحجاز ومنك الخير مأمول # هل عندك اليوم للمشتاق تنويل[٣٢]

افتتح القصيدة بالمديح التشوقي، حيث يذكر الأماكن والربوع التي على طريق المدينة التي تذكره بالرسول صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يصل إلى المدينة المنورة ثم يذكر نوره المُوَدَّع في رحم حواء وصار ينتقل من صلب إلى صلب حتى وصل واستقر في صلب والده عبد الله. وهكذا استمر يمدح النبي إلى أن وصل إلى قوله:

جاءت به كاملاً لا عيب ينقصه # كأنه وهي لم تكحله مكحول[٣٣]

وكان يضحى دهيناً في حداثته[٣٤] # وما لفوديه[٣٥] بالأذْهان ترجيل[٣٦]

وقد أخذ الشاعر هذه الفكرة من أحد شعراء الرسول الثلاثة:

وهو حسان بن ثابت رضي الله عنه الصحابي الجليل، حينما كان يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدة له قائلاً:

وأحسن منك لم تر قط عيني # وأجمل منك لم تلد النساء

خُلقت مبرءاً من كل عيب # كأنك قد خلقت كما تشاء[٣٧]

يتحدث الشاعر في البيت الأول عن زمن ولادته صلى الله عليه وسلم

وما حدث إبَّان وضعه من بطن أمه آمنة الزهرية، حيث وضعته طيباً دهيناً ومكحول العينين، فشبهه بمكحول العينين كأن والدته كحلت عينيه بالكحل. فالتشبيه هنا تشبيه المحسوس بالمحسوس، لأن الرسول حسي، والمكحول حسي، يدركان بحاسة البصر. والمشبه في البيت الأول هو ضمير (الهاء) من قوله "هو" يعني به النبي، والمشبه به (مكحول)، وأداة التشبيه (كأن) التي تفيد التأكيد.

(٤) ويقول الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس اليعمري رحمه الله تعالى في قصيدته الميمية الطويلة، وهي مائة وثمانية وثمانون (١٨٨) بيتاً.

يعارض فيها قصيدة "بانت سعاد" يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومطلعها كالآتي:

قلبي بكم يا أهيل الحي مأهول[٣٨] # وحبله بأماني الوصل موصول[٣٩]

افتتح القصيدة بالغزل كما هو معروف لدى الشعراء القدامى. ثم انتقل إلى مدح النبي، يذكر فضائله، وشمائله وأخلاقه الفاضلة. ثم إلى معجزاته، ويعددها إلى أن وصل إلى قوله:

وعندما قال للأشجار حيهلا[٤٠] # أقبلن سعياً كما السحب المراسيل[٤١]

ثم ارجعي قال فارتدت على أثر # وأصلها لم يهن[٤٢] والفرع مهدول[٤٣]

وقد شبه الشاعر سعي الأشجار لإجابتها الرسول صلى الله عليه وسلم بسرعة الناقة السريعة، إلا أن التشبيه ضعيف، كون إجابة الأشجار النبي معجزة. والمعجزة امر خارق للعادة. لا تقارن بأي شيء، ولما أراد الشاعر أن يظهر التشبيه الحسي بحاسة البصر بين المشبه والمشبه به فليس له بُدٌّ إلا أن يسرد البيت على هذا السياق. فالمشبه في البيت هو (الأشجار)، والمشبه به

(السحب المراسيل) و(الكاف) أداة التشبيه. ونوع التشبيه حسي لأن المشبه والمشبه به حسيان يدركان بحاسة البصر. وقيمة التشبيه هو تشبيه الشيء بالشيء صورة.

(ب) ما يدرك بحاسة السمع:

(٥) قال الشهاب رحمه الله تعالى في قصيدته "اللامية" والتي تحتوي على خمسة وثمانين بيتاً (٨٥) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ومطلع القصيدة هو التالي:

ليس بعد السبعين إلا الرحيل # فإلى من التسويف[٤٤]والتعليل[٤٥]

حتى افتتح الشاعر القصيدة بالوعظ والإنذار والنصيحة للمسلمين عن ركونهم إلى الدنيا وغفلتهم عن الآخرة. ثم انتقل إلى مدح الرسول ذاكراً مناقبه ومراتبه السنية، وبعضاً من شمائله. ومعجزاته صلى الله عليه وسلم إلى أن قال:

وحنين[٤٦] الجذع[٤٧] الذي أسمع الصَّخْـ#ـبَ جميعاً كما تحن الثَّكُوُل[٤٨] والشاعر تحدث في هذا البيت عن إحدى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، من ناحية خطاب الجمادات له عليه السلام، حيث حن الجذع له تشوقاً، لما ترك الوقوف عليه أثناء الخطبة، حينما صنع له منبراً من خشب فأسمع الجذع من في المسجد من الصحابة حنينه بصوت مرتفع، وقد شبه الشاعر حنين الجذع بحنين الثكول أي الناقة فاقدة الأولاد، وهذا التشبيه ضعيف لأنه لا يقارن شدة ألم هذا الجذع من شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم بألم الثكول. ولابد أن فقد النبي أشد ألماً من فقد الثكول أولادها. ولما أراد الشاعر أن يظهر المشابهة بين المشبه والمشبه به في حاسة السمع، فليس له إلا أن يسرد هذا البيت بهذا الشكل.

والمشبه في البيت (حنين الجذع)، والمشبه به (حنين الثكول) و(الكاف) أداة التشبيه، ونوع التشبيه حسي، لأن المشبه والمشبه به حسيان يدركان بحاسة السمع.

(ج) ما يدرك بحاسة الذوق

(٦) قال القلقشندي المصري، ولعله شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي، الشافعي نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٢١هـ في قصيدته السلامية، المشتملة على أربعة وأربعين (٤٤) بيتاً، والتي عارض بها قصيدة "بانت سعاد" في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والمطلع للقصيدة هو الآتي:

سيف العيون على العشاق مسلول # وصارم اللحظ مسنون ومصقول[٤٩]

فأخذ الشاعر مباشرة بعد مطلع القصيدة في ذكر صفات النبي الخلفية الجليلة إلى أن وصل إلى قوله:

وَالثَّغْرُ[٥٠] كاللؤلؤ المنثور[٥١] مَبْسِمُهُ # والريق كأس الطِّلا[٥٢] واللفظ مَعْسُولُ[٥٣]

شبه الشاعر في صدر البيت أسنان الرسول صلى الله عليه وسلم وفمه باللؤلؤ المنثور في الجمال واللمعان، ثم أتبع عجز البيت بتشبيه ثان، حيث شبه ريقه الشريف بكأس الطلا، ولفظه بمشروب معسول في المذاق. وهذا تشبيه رائع حيث ذكر الشاعر ثلاث تشبيهات في بيت واحد، إلا أن في تشبيهه ريق الرسول بكأس الطلا ضعف، لأن ريقه عليه السلام أحلى وأعذب من الطلا. لأن ريقه يلفته وينفثه على المريض أو الجريح فيبرأ، أو ينفثه في الماء المالح فيكون عذباً صالحاً للشرب، ولما لم يجد الشاعر بدا أتى بهذا النسق ليظهر للقارئ أو السامع مشابهة المشبه والمشبه به في المذاق أتى بكلمة "الطلا" والمشبه في البيت (الثغر – المبسم – الريق – اللفظ) والمشبه به (اللؤلؤ – كأس الطلا – معسول)، والكاف أداة التشبيه، ونوع التشبيه حسي، لأن المشبه والمشبه به حسيان يدركان بحاسة الذوق.

(د) ما يدرك بحاسة الشم.

(٧) قال الشهاب أحمد بن عبد الملك المعروف بالعزازي رحمه الله في قصيدته السلامية معارضاً بها قصيدة "بانت سعاد" والقصيدة اثنان وستون بيتاً (٦٢) في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومطلعها:

دمي بأطلالٍ ذات الخال مطلوب # وجيش صَبْريَ مهزومَ وَمغْلُولُ[٥٤]

افتتح الشاعر القصيدة بالغزل كما هو دأب الشعراء القدامى ثم انتقل يمدح النبي صلى الله عليه وسلم يبين أخلاقه الفاضلة، وشمائله السنية يعددها إلى أن وصل إلى قوله

منازل لأكف الغيث توشية[٥٥] # بها وللنور توشيح[٥٦] وتكليل [٥٧]

كأنما طيب رياها[٥٨] ونفحتها # بطيب ترب رسول الله مجبول[٥٩]

يتحدث الشاعر عن الربوع والمنازل التي فيها محبوبه: فشبه في البيت الثاني طيب رائحة تربها الطيبة بطيب ترب قبر الرسول رائحة.

لكن هذا التشبيه ضعيف نظراً بأن طيب رائحة ترب قبر الرسول لا تقارن بأي شيء. ولما أراد الشاعر أن يظهر المشابهة بين المشبه والمشبه به في الرائحة الطيبة، ما عليه إلا أن يجري هذا البيت على هذا النسق.

والمشبه في البيت (طيب الرائحة- النفحة) والمشبه به (طيب ترب رسول الله)، و(كأن) أداة التشبيه، ونوع التشبيه حسي لأن المشبه والمشبه به حسيان يدركان بحاسة الشم.

(هـ) ما يدرك بحاسة اللمس:

(٨) قال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري رحمه الله تعالى في قصيدته "الدالية" مشتملة على ثمانية وأربعين (٤٨) بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

ومطلعها:

يا وُلاة الفَلاذ ميلاً ووخْداً # كيف خلفتمُ الغُوَيْرَ ونَجْدا[٦٠]

افتتح الشاعر القصيدة بالمديح التشوقي حيث يذكر الأماكن والربوع الشعائر قبل أن يصل إلى طيبة. ثم انتقل إلى مدح شخصية النبي إلى أن وصل إلى قوله:

سَاعِدَاهُ كفِضّةٍ ويُظَن الـ # كفَّ في لينةِ اللَّمَس زُبْدَا[٦١]

والشاعر يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بصفاته الشريفية الخلقية. فشبه ساعديه في صدر البيت بفضة في الصفاء واللمعان. ثم شبه في العجز كفه الشريف بالزبد في لينة اللمس. وقد أبدع وأجاد الشاعر في هذين التشبيهين، حيث بالغ في تشبيهه كف الرسول بالزبد، وكأن من المستحسن أن يشبهه بالحرير بدلاً من الزبد. فالمشبه في البيت (ساعداه- والكف)، والمشبه به (الفضة – الزبد) و(الكاف) أداة التشبيه، ونوع التشبيه حسي، لأن طرفي التشبيه حسيان يدركان بحاسة اللمس.

<u>النوع الثاني: تشبيه المعنوي بالمعنوي:</u>

(٩) قال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري رحمه الله تعالى، في قصيدته الهائية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وهي سبعون بيتاً (٧٠) ومطلعها كالتالي:

فلها تمرحُ في أرسانها # فَتَيَّاتُ اللّويِ من شانها

افتتح الشاعر القصيدة بالكلام عن الغزل، ثم انتقل تدريجياً وتخلص إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن وصل إلى قوله:

حل منه العلم والحلم معاً # كحلول الروح في جثمانها[٦٢]

وصف الشاعر النبي صلى الله عليه وسلم بصفتي العلم والحلم، حيث حلا فيه وصارتا من سجياته الفاضلة.. يوصفه بهما بأنه ذو علم وحلم. وشبهه حلولهما فيه بحلول الروح في الجسد. فالتشبيه هنا معنوي بالمعنوي، لأن الحلول في ذات النبي معنوي لا يدرك بحاسة إلا بالعقل. كما

لا يدرك حلول الروح في الجسد إلا بالعقل فالمشبه في البيت (حلول العلم والحلم)، والمشبه به (حلول الروح في الجثمان) و (الكاف) أداة التشبيه.

النوع الثالث: التشبيه المعنوي بالمحسوس:

(١٠) قال بعض الأفاضل كما في مجموعة وقد نظم شمائله الشريفة في قصيدة مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وهي سبع وسبعين (٧٧) بيتاً. ومطلعها:

مدائح خير الخلق أسنى الوسائل # فكم من مناد قد أجابت وسائل[٦٣].

افتتح الشاعر القصيدة بالحديث عن مديح النبوي ومنزلته وأهميته وفائدته دنيا وآخرة. ثم شرع يمدح شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ويعدد أخلاقه الفاضلة إلى أن وصل إلى قوله:

نبي بحسن الخلق[٦٤] مولا زانه # وزان بحسن الخلق[٦٥] ختم الرسائل[٦٦]

رَسَا[٦٧] حلمه كالطود[٦٨] في الأرض مثلما # سرى ذكره في الناس بين القبائل[٦٩]

يتحدث الشاعر في البيت الأول عن خلقه عليه السلام حيث جمله الله تعالى وزانه بها، ثم جمله وحسَّن خَلْقه على سائر البرية. ثم في البيت الثاني وصف الشاعر ثبوت حلم الرسول وشبهه بالطود يعني الجبل في الثبات، لا يكدره شيء كما لا يتزعزع فالمشبه هنا (حلم الرسول)، والمشبه به (الطود) وأداة التشبيه (الكاف). ونوع التشبيه هو تشبيه المعنوي بالمحسوس لأن الحلم معنوي يدرك بالعقل والطود محسوس يدرك بحاسة البصر.

(١١) وقال الإمام البوصيري رحمه الله تعالى في قصيدته.. الهمزية المشهورة المسماة "أم القرى في مدح خير الورى. وهي أربع مائة وست وخمسون (٤٥٦) بيتاً. في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومدح آل بيته.

ومطلعها هو التالي:

كيف ترقى رقيك الأنبياء # يا سماء ما طاولتها سماء[٧٠]

افتح القصيدة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، بدون أن يسلك منهج الشعراء القدامى من ذكر الغزل. كما فعل بقصيدته المشهورة "البردة"، فاستمر يمدح النبي إلى أن وصل إلى قوله.

وسلام من كل ما خلق الله # لتحيا بذكرك الأُمَلاءُ

وصلاة كالمسك تحمله مـ # ـني شمال[٧١] إليك أو نكباء[٧٢]

والشاعر هنا يمد سلامه وصلاته إلى جناب شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فشبه صلاته التي يصليها بالمسك الذي تحمله الريح التي تهب من جهة الشمال، أو تحمله إليه الريح التي تهب بين ريحين.

النوع الرابع: التشبيه المحسوس بالمعنوى:

(١٢) قال الإمام شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري رحمة الله تعالى في قصيدته "اللامية التي عارض بها قصيدة "بانت سعاد" وهي مائتان وثلاثة (٢٠٣) أبيات.

في مدح النبي صلى الله عليه وسلم افتتح القصيدة بالغزل المعروف لدى شعراء القدامى ثم شرع يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أتى إلى ذكر غزواته، وصف غزوة حنين فقال:

لله يوم حنين حين كان به # كساعة البعث تهويل[٧٣] وتطويل [٧٤]

وصف الشاعر يوم غزوة حنين بيوم اشتد فيه الخوف على المسلمين فشبه هذا (اليوم) بساعة البعث يعني يوم القيامة من شدة الخوف والفزع، فالتشبيه: تشبيه المحسوس بالمعنوي، لأن اليوم محسوس لأنه مشهود يدرك بحاسة البصر (وساعة البعث) معنوية تدرك بالعقل، فالمشبه في البيت (اليوم)، والمشبه به (ساعة البعث). و(الكاف) أداة التشبيه.

(١٣) وقال الإمام جمال الدين يحيى الصرصري، رحمه الله تعالى: في مدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة "ميمية" في أربع وخمسين (٥٤) بيت، ومطلعها:

تخلفنا عن البلد الحرام # وما فيه من النَقِم الجسام[٧٥]

افتتح القصيدة بالحديث عن رحلتهم منصرفين من البلد الحرام

حيث زاروا الحرم المكي والحرم المدني. واستمر إلى أن وصل إلى قوله:

ولما ودَّعُوا ودنا فِراقُ # فَشَتَّتَ[٧٦] شملُهم بعد الْتِئام

تَولَّوا والقلوبُ لها وَجِيبٌ[٧٧] # تكاد تَطير من فَرَّط[٧٨] الهُيَام[٧٩]

كأن نعيمَهُم إذْ فارقوه # لسرعة فقده حُلُم المنام

يتحدث الشاعر عن توديع النفر بعضهم بعضا بعد زيارتهم الحرمين المكي والمدني. وسائر الشعائر، ومدى شوقهم إليها، وألم تفرقهم. فوصف الشاعر في البيت الثالث نعيم الذي كانوا فيه أثناء الزيارة كأنه كالحلم عندما يستيقظ النائم لا يكاد يراه. فشبه هذا النعيم الذي شاهدوه وتمتعوا به بحلم المنام الذي لا تراه العيون. فالتشبيه، تشبيه المحسوس بالمعنوي، لأن النعيم محسوس يشاهد ونيرت، وحلم المنام يدرك بالعقل والمشبه في البيت (نعيم)، والمشبه به (حلم المنام) و(كأن) أداة التشبيه تفيد التأكيد.

المبحث الثالث

أغراض التشبيهات المستخدمة حسب أرقام الأبيات:

١- الغرض من هذا التشبيه هو الجمع بين السماء والبيت في تصوير حالة الحراسة والصيانة من الله تبارك وتعالى. فأظهر حالة شدة تلك الحراسة للمشبه.

٢- الغرض من التشبيه في البيت الثاني إظهار حال المشبه من الشجاعة والاستعداد لتلقي العدو عند أية مصيبة أو مكروه يواجهه.

٣- والغرض من التشبيه في البيت تزيين المشبه في عيني السامع ومسامعه، وإظهار بعض فضله وقدره عند الله على سائر الخلق.

٤- والغرض من التشبيه هو تزيين المشبه لدى السامع والقارئ وإظهار مقداره له ليرسخ في ذهنه.

٥- الغرض من التشبيه إبراز حالة المشبه من السمع والطاعة للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث اقتلع من أصله وسعى تجاه الرسول.

٦- والغرض من هذا التشبيه إبراز قيمة المشبه وتزيينها لدى السامع والقارئ

٧- والغرض من التشبيه إظهار مقدار حال المشبه وإظهار قيمته وتزيينها لدى السامع والقارئ.

٨- والغرض من التشبيه هو إظهار مقدار المشبه وتزيينه في عيني القارئ ومسامع السامع.

٩- الغرض من هذا التشبيه تزيين حال المشبه باللطافة والسماحة لدى القارئ والسامع.

١٠- والغرض من هذا التشبيه إبراز تزيين المشبه وإظهار قيمته لدى القارئ والسامع ليقنع ويطمئن به قلبه.

١١- الغرض من التشبيه تزيين المشبه وإظهار قيمته وبثها في نفس القارئ والسامع ليطمئن قلبه به.

١٢- والغرض من التشبيه إظهار مقدار قيمة المشبه وكثرتها في عيني القارئ والسامع وبث الفضيلة في نفسه.

١٣- والغرض من التشبيه في البيت هو إبراز مدى قيمة المشبه حيث ترسخ في ذهن القارئ والسامع.

خاتمة :

لكل بداية نهاية، وقد اختتم الباحث هذه المقالة حيث استخرج فيها أركان التشبيه الواردة في بعض الأبيات للمجموعة مع الإشارة لكل منها، ثم أجرى دراسة تحليلية بلاغية نقدية. حيث أظهر فيها القيم الفنية لبعض التشبيهات الحسية والمعنوية وأشار إلى نوعية كل منها، ثم اتبع الدراسة بإظهار أغراض التشبيهات الواردة فيها.

الهوامش

(١) النبهاني، يوسف بن اسماعيل، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٣، ص١١.

(٢) نفس المرجع، ص ١٤.

(٣) نفس المرجع، ص ٣٥.

(٤) نفس المرجع: ص: ٥٠.

(٥) نفس المرجع، ص ٧١.

(٦) نفس المرجع ص ١١٤.

(٧) نفس المرجع ص ٣٩٣.

(٨) المجموعة النبهانية، ج١، ص٥٦٤.

(٩) نفس المرجع: ص ٣٨٨.

(١٠) المجموعة النبهانية، ج٣، ص١٧.

(١١) نفس المرجع: ص ٥٠.

(١٢) نفس المرجع: ص ١٦.

(١٣) المجموعة النبهانية: ج٣، ص ١٥٤.

(١٤) المجموعة النبهانية، نفس المرجع، ص ١٧٣.

(١٥) المجموعة النبهانية، ج١، ص١١٣.

(١٦) المجموعة النبهانية، ج٣، ص٣٣١.

(١٧) نفس المرجع: ص ٣٦٤.

(١٨) المجموعة النبهانية، ج٣، ص ١٦.

(١٩) المجموعة النبهانية، ج٣، ص٨٨.

(٢٠) النبهاني: المجموعة النبهانية، الجزء الثالث، ص: ٨.

(٢١) دهى: أصاب.

(٢٢) تجديل: جدله أي صرعه

(٢٣) النبهاني: نفس المرجع السابق، ص ١١

(٢٤) سورة الجن: الآية ٨-١٠

(٢٥) سورة الفيل: الآية ١-٥

(٢٦) والغيرة: تصرفات وأفكار وأحاسيس تظهر عنه ما يشعر الإنسان أن هناك شخصاً يهدد علاقته المترابطة القوية مع شخص من قبل طرف آخر.

(٢٧) أضحى: أصبح
(٢٨) الغار: الكهف
(٢٩) مأهول: معمور
(٣٠) ليثان: أسدان
(٣١) الغيل: مأوى الأسد. نفس المرجع ص: ١٤.
(٣٢) المجموعة النبهانية، المرجع السابق، ص٣٣.
(٣٣) مكحول: الذي وضع الكحل في عينيه، المرجع السابق، ص ٣٦.
(٣٤) الحداثة: صغر السن، نفس المرجع، ص ٣٦.
(٣٥) الفؤداد: جانبا الرأس
(٣٦) الترجيل: تسريح الرأس.
(٣٧) ديوان حسان بن ثابت، المجموعة: الجزء الأول: ص: ٦٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص٦٣.
(٣٨) المأهول: المعمور بأهله
(٣٩) النبهاني: المجموعة، الجزء الثالث، ص٦٠.
(٤٠) حيهلا: أقبلن
(٤١) المراسيل: النياق السريعة
(٤٢) يهن: يضعف
(٤٣) مهدول: المرخي إلى أسفل. المجموعة، الجزء الثالث، ص٧١.
(٤٤) التسويف: التأخير
(٤٥) التعليل: المراد به التعلل أي التلهي
(٤٦) الحنين: الشوق بصوت
(٤٧) الجذع: أصل النخلة.
(٤٨) الثكول: الناقة فاقدة الأولاد، نفس المرجع، ص ٣٩٣.
(٤٩) المجموعة: نفس المرجع ص ١٤٣
(٥٠) الثغر: الأسنان.
(٥١) المنثور: المنتشر.
(٥٢) الطلا: الخمر
(٥٣) معسول: عسله حلاه بالعسل فهو معسول، نفس المرجع، ص: ١٤٣.
(٥٤) المجموعة: نفس المرجع ص ٤٨.

(٥٥) التوشية: التزيين

(٥٦) التوشيع: أيضاً ومنه توشيع الثوب وهو تزوينه بإعلامه

(٥٧) الإكليل: التابع وعصابة تزين بالجواهر

(٥٨) الريا: الرائحة الطيبة

(٥٩) مجبول: مطبوع نفس المرجع، ص: ٥٠

(٦٠) نفس المرجع: ص: ١٤

(٦١) نفس المرجع: ص: ١٧

(٦٢) المجموعة النبهانية، الجزء الثالث، ص١٧٩.

(٦٣) المجموعة: الجزء الثالث، ص ٣٧٨.

(٦٤) الخلق: الطبع.

(٦٥) الخلق: الصورة الظاهرة.

(٦٦) الرسائل: رسالات الأنبياء – أي إرساله من الله تعالى إلى الخلق.

(٦٧) رسا: ثبت

(٦٨) الطود: الجبل.

(٦٩) نفس المرجع: ص٣٨٠.

(٧٠) المجموعة: الجزء الأول ص ٧٧.

(٧١) شمال: الريح التي تهب من جهة الشمال.

(٧٢) نكباء: ريح بين ريحين.

(٧٣) الهول: شدة الخوف/ التخويف والتهديد

(٧٤) التطويل: من الإطالة

(٧٥) المجموعة: الجزء الرابع: ص ١٧٥.

(٧٦) التشتيت: التفريق: والشمل ما اجتمع من الأمر

(٧٧) الوجيب: الصوت

(٧٨) الفرط: الزيادة

(٧٩) الهيام: كالجنون من الحب، هام على وجهه لم يدر أين يذهب، نفس المرجع ص: ٤٨.

قائمة المراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أنيس، إبراهيم (الدكتور) وآخرون، المعجم الوسيط ج١-٣ لسنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م بدون مطبعة وتاريخ نشر.

٣- ألوزني، محمد بن بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م

٤- النبهاني، يوسف بن إسماعيل، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، الجزء الأول، والثاني، والثالث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بلا تاريخ.